مدار الوطن
٦٢

أخي الشاب:

دع الفراغ وابدأ العمل

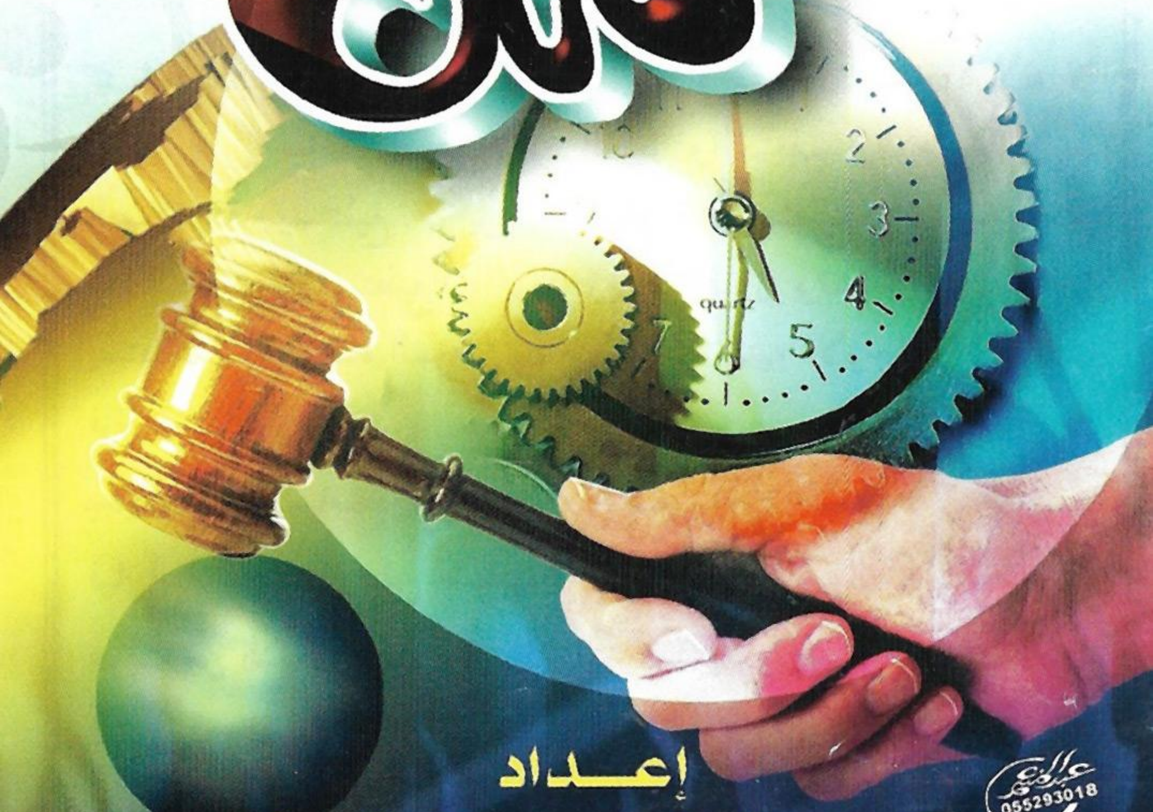

إعداد
القسم العلمي بمدار الوطن

مركز خدمة المتبرعين بالكتاب
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - ت/٤٧٩٢٠٤٢ - ف/٤٧٢٣٩٤١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يبلغ رضاه، وصلىٰ الله علىٰ نبيه ومصطفاه، وعلىٰ آله وصحبه ومن ولاه إلىٰ يوم الدين، **أما بعد:**

* **هل تأملت** هذا الرجل الذي احدَوْدب ظهره، وابيضَّ شعره، وتثاقلت خطاه، وخارت قواه، وسقط حاجباه، وتناثرت أسنانه؟ فهو يقوم ويقعد بصعوبة، ويصلي ويصوم بصعوبة، ويأكل ويشرب بصعوبة، ويقضي حاجته بصعوبة.

* **هل تأملت** هذا الرجل؟ ألم يكن شاباً مثلك...؟ يعيش حياة الشباب... ويسير سيرهم... ويلهو لهوهم... ويلعب لعبهم، لقد ظن هذا الرجل أن أيام الشباب طويلة، وأن قوة الشباب قاهرة، وأن نضرة الشباب تزهو على الليالي والأيام!!

* **واليوم...** وبعد أن كبرت سنه.. وضعف بنيانه... وتنوعت أسقامه.. يبكي علىٰ ما ضاع من عمره في اللهو واللعب.. يبكي علىٰ قوة الشباب التي ولَّت، وعلىٰ نضرة الشباب التي استُبدلت بالكبر والشيخوخة.. ويتمنىٰ أن يعود إليه شبابه وقوته ليصرفهما في طاعة الله ورضوانه. ولكن هيهات هيهات.. فكل يوم انشق فجره ينادي ابن آدم ويقول: يا ابن آدم! أنا يوم جديد وعلىٰ عملك شهيد، فاغتنمني فإني لن أعود إلىٰ يوم القيامة.

* **إن هذا الرجل** يعيش اليوم في ندم وحسرة.. لماذا؟ لأنه لا يقوىٰ علىٰ عبادة الله في زمن العجز والضعف والوهن.. يريد الصلاة فلا يستطيع.. يريد الصيام فلا يستطيع.. يريد الحج والاعتمار فلا يستطيع.. يريد زيارة القبور وتشييع الجنائز فلا يستطيع.. قد هدَّه المرض.. وتكاثرت عليه الأوجاع.. ولذلك فإنه يبكي.

بكيتُ على الشباب بدمع عيني ... فلم يُغْنِ البكاءُ ولا النحيبُ
فيا أسفاً أسفتُ على شباب ... نعاه الشيب والرأس الخضيبُ
عريت من الشباب وكنت غصناً ... كما يعرى من الورق القضيبُ
فيا ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبره بما فعل المشيبُ

احذر طول الأمل

* **اخي الشاب:** قد تقول: وما الذي يجعلني أنتظر حتىٰ أصل إلى

هذا الحدّ من الضعف والوهن . إني سأتوب قبل ذلك العمر . . ربما في الأربعين أو بعد ذلك بقليل، وهي سنٌّ يكون الإنسان فيها متمتعاً بكامل صحته وقواه، وحينئذ أجمع بين الأمرين: متعة الشباب، وعبادة الله بعد ذلك . . والله تعالىٰ غفور رحيم . . يتوب علىٰ العبد متىٰ تاب، ولو كان في الخمسين من عمره أو الستين أو السبعين ما لم يغرغر ويشرف علىٰ الموت . .

* **ولبيان زيف هذا التصور ـ أخي الشاب ـ أحبُّ أن أسألك هذا السؤال: من يضمن لك أن تصل إلىٰ الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين؟ بل من يضمن لك البقاء إلىٰ غدٍ؟ بل من يضمن لك أن تقوم من مقامك؟ أما تعلم أن الموت يأتي بغتة؟؛ وأنه ينزل بالشباب كما ينزل بغيرهم؟ أما رأيت كثيراً من أقرانك أخذهم الموت فأصبحوا من سكان القبور؟**

* **هل** تمكَّن هؤلاء من التوبة؟ **وهل** تمتعوا بالمهلة؟ **وهل** استفادوا في قبورهم من تضييع الأوقات في الملاهي والمنكرات؟ **وهل** وصلوا إلىٰ السنِّ التي تريد أن تصل إليها ثم تتوب بعدها؟ **فلماذا** تؤمل البقاء في هذه الدار، وطريقك محفوف بالمكاره والأخطار؟

ولماذا التسويف والغفلة وأنت تعلم أن الموت بغتة ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور: ٣١].

*قال ابن الجوزي: يجب علىٰ من لا يدري متىٰ يبغته الموت أن يكون مستعداً، ولا يغتر بالشباب والصحة، فإن أقلّ من يموت الأشياخ، وأكثر من يموت من الشباب، ولهذا يندر من يكبر، وقد أنشدوا:

يُعَمَّـر واحـدٌ فيغـرّ قـومـاً ... ويُنسى من يموت من الشباب

* **ومن الاغترار:** طول الأمل، وما من آفة أعظم منه، فإنه لولا طول الأمل ما وقع إهمال أصلاً، وإنما تُقَدَّمُ المعاصي وتُؤخَّر التوبة لطول الأمل وتبادر الشهوات.

تؤمِّلُ في الدنيا ثليلاً ولا تدري ... إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر

فكم من صحيح مات بغير علةٍ! ... وكم من سقيم عاش حيناً من الدهرِ

شبابٌ عاجز

* وكذلك ـ أخي الشاب ـ إذا وصلت إلىٰ سن الأربعين فما يدريك أنك ستكون متمتعاً بقواك في هذه السن كما زعمت؟ قادراً علىٰ عبادة الله علىٰ أكمل وجه؟

* **أما يمكن أن يصاب ابن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين بالأمراض التي تزلزل أركانه؟ وتجعله طريح الفراش حبيس الأَسِرَّة البيضاء؟**

* **أما يمكن أن يُبتلىٰ ابن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين بالحوادث المروِّعة التي لا يستطيع بعدها حراكاً؟**

* **فالله الله في تجديد التوبة** عساها تكُفُّ كَفَّ الجزاء، والحذر الحذر من الذنوب، فإن المبارزة لله تُسقط العبد من عينه، ومتىٰ سقط العبد من عين الله في أيِّ أودية الدنيا هلك!

عاقبة التسويف

* **أخي الشاب: هناك أمر آخر قد خفي عليك، وهو أن التسويف لا يقف عند حدّ، بل هو بحر لا ساحل له، والأماني لا تنقطعُ بصاحبها، ولا يزال العبد يسوّف حتىٰ يصير مجندلاً في قبره.** . فإذا بلغ الثلاثين قال: سوف أتوبُ غداً. . وإذا جاوز الأربعين قال: سأتوب غداً. . وإذا بلغ الخمسين قال: غداً، وإذا بلغ الستين قال: غداً غداً. . وكل يوم يمرُّ عليه يزداد فيه بعداً من الله، ونفوراً من التوبة وسبيلها. . فالحازم من عزم علىٰ التوبة من ساعته، وترك سبل الغواية الآن قبل غده.

* **قال الحسن رحمه الله: إن قوماً ألهتهم أمانيُّ المغفرة، حتىٰ خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظنَّ بربي وكذب. . لو أحسن الظن لأحسن العمل.**

خذ من شبابِك قبل الموت والهرم ... وبادر التوبَ قبل الفوت والندمِ

واعلم بأنك مجزيٌّ ومرتَهَنٌ ... وراقب الله واحذر زلة القدمِ

* **فيا أيها الشاب:** إياك والتسويف بالتوبة، والاتكال علىٰ العفو والمغفرة، فالله تعالىٰ كما أنه غفور رحيم، فإنه أيضاً شديد العقاب، ذو بطش شديد، وأخذٍ أليم. قال تعالى: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[البروج: ١٢]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ

شَدِيدٌ﴾[هود: ١٠٢]. وقال النبي ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفْلِتْه» [متفق عليه].

* **وهناك ثلاثة أسباب للتراخي والميل إلى اللذات:**

أحدها: رؤية الهوىٰ العاجل، فإن رؤيته تُشغل عن الفكر فيما يجنيه، لأن عين الهوىٰ عمياء!

الثاني: التسويف بالتوبة، فلو حضر العقل لحذَّر من آفات التأخير، فربما هجم الموت قبل أن تحصل التوبة.

الثالث: رجاء الرحمة، فيقول العاصي: ربي رحيم، وينسىٰ أنه شديد العقاب.

قل للمفرِّط يستعدّ ... ما من ورود الموت بدّ
قد أخلق الدهرُ الشبابَ ... وما مضى لا يُستردّ
أو ما يخاف أخو المعاصي ... من له البطش الأشدّ
يوماً يُعَاينُ موقفاً ... فيه خطوبٌ لا تُحَدّ
فإلام يشتغل الفتى ... في لهوه والأمر جدّ

شاب نشأ في عبادة الله

* عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»: ... وذكر منهم: «وشاب نشأ في عبادة الله».

* **أخي الشاب:**

* ألا تريد أن يظلك الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله؟
* ألا تريد أن تأخذ كتابك بيمينك فتقول فرحاً مسروراً: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾
* ألا تريد لقيا الأنبياء والمرسلين في جنات عدن؟
* ألا تريد التمتع بالحور العين والجواري الحسان؟
* ألا تريد النظر إلىٰ وجه الله الكريم؟ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.
* ألا تريد نعيماً لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع؟
* إن كنت تريد ذلك فـ:

شمِّر عسى أن ينفع التشميرُ ... وانظر بفكرك ما إليه تصير
طوَّلت آمالاً تكنَّفها الهوى ... ونسيت أن العمر منك قصير

* وكن كما كان هذا الشاب الذي حكىٰ عنه بكر العابد، فقال:

تعبَّد شاب صغير من أهل الشام فبالغ في العبادة والاجتهاد، فقالت له أمه: يا بنيّ! لماذا لا تلهو مع الشباب الذين هم في مثل سنّك؟ فقال لها الشاب الطائع: **يا أماه! ليتك كنت بي عقيماً.. ليتك لم تلديني... يا أماه.. إن لابنك في القبر رقاداً طويلاً، وفي عرصات القيامة موقفاً مهولاً..** فقالت له: يا بنيّ! لولا أني أعرفك صغيراً وكبيراً لظننتُ أنك أحدثت حدثاً موبقاً، أو أذنبت ذنباً مهلكاً لما أراك تصنع بنفسك، فقال لها: يا أماه! وما يدريني أن يكون الله عز وجل قد اطلع عليَّ وأنا في بعض ذنوبي فمقتني، وقال: اذهب فلن أغفر لك..

* **هكذا كان شباب الأمس، يعبدون الله تعالىٰ، ويخافون ألا يتقبل الله منهم، أما شباب اليوم ـ إلا من رحم الله ـ فقد جمع بين التقصير بل بين التفريط والغفلة، ومع ذلك يظن كلُّ واحد منهم النجاة يوم القيامة.**

وصية نبوية

* **عن** ابن عباس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**» [رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني].

الإسلام وحظوظ النفس

* **أخي الشاب:** يخطئ من يظن أن طريق الاستقامة يمنع المتعة ويحرِّم البسمة، وينهىٰ عن المزحة، ويحظر الشهوات علىٰ الإطلاق، بل إنه ضبط هذه الأمور وفق حدود شرعية حتىٰ لا يكون الإنسان عبداً لهواه وشهواته، **فهناك أنواع من المتع المباحة التي أقرها الإسلام وحثَّ عليها، ومن ذلك:**

أولاً: النكاح: فالنكاح حثَّ عليه الإسلام، وجعله سبيلاً لضبط الشهوة، وطريقاً للمودة والرحمة بين الزوجين، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

* **ونظراً** لقوة داعي الشهوة لدىٰ الشباب خصَّهم النبي ﷺ بالأمر به، فقال عليه الصلاة والسلام: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغضُّ للبصر وأحصن للفرج، ومن لم**

يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» [متفق عليه].

* **وفي النكاح فوائد عظيمة منها:**

١ ـ **أنه** تنفيذ لأمر الله تعالىٰ واتباع لسنن الأنبياء.

٢ ـ **به** تحصيل المودة والرحمة والتعاون والألفة بين الزوجين.

٣ ـ **به** تحفظ الأنساب ولا تختلط.

٤ ـ **به** تحصن الفروج وتضبط الغرائز.

٥ ـ **به** يكثر النسل وتقوىٰ شوكة الأمة ويهاب جانبها.

٦ ـ **به** تحفظ المجتمعات من الفساد والانحلال.

٧ ـ **به** يحفظ الزوجان من الأمراض الفتاكة التي تصيب من يقضي وطره بالطرق المحرمة.

* **أخي الشاب:**

وحرم الإسلام الزنا لما فيه من الأضرار الجسيمة علىٰ الأفراد والأسر والمجتمعات، فبالزنا تختلط الأنساب وتنتشر العداوة والبغضاء، ويظهر القحط ويعم البلاء، **والزنا يجمع خلال الشر كلها من قلة الدين، وذهاب الورع وفساد المروءة، وقلة الغيرة، فلا تجد زانياً معه ورع، ولا وفاء بعهد، ولا صدق في حديث، ولا محافظة علىٰ صديق، ولا غيرة تامة علىٰ أهله.**

* **ومن نتائج الزنا:**

١ ـ غضب الرب سبحانه لانتهاك محارمه.

٢ ـ سواد الوجه وظلمة القلب وضيق الصدر.

٣ ـ الفقر اللازم للزناة ولو بعد حين.

٤ ـ السقوط من عين الله وأعين العباد.

٥ ـ الاتصاف بأخبث الأوصاف كالفاجر والزاني والخائن.

٦ ـ التعرض للعذاب في جهنم مع الزناة والزواني.

٧ ـ الإصابة بالأمراض الفتاكة: كالإيدز والهربس والسيلان.

٨ ـ فوات الاستمتاع بالحور العين في المساكن الطيبة في جنات عدن.

ثانياً: الأكل والشرب: قال تعالىٰ: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ﴾ [الملك: ١٥] **وضابط ذلك:**

١ ـ **أن يكون الطعام والشراب من الطيبات** كما قال تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فالدخان والحشيشة والخمر كلها من الخبائث المحرمة.

٢ ـ **أن يكون بقدر الحاجة** كما قال تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ [الأعراف: ٣١].

٣ ـ **أن يكون في غير الأوقات التي حرم الله فيها الأكل والشرب** كنهار رمضان، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

٤ ـ **أن يكون الطعام والشراب من مال حلال**، فإن كل لحم نبت من حرام فالنار أولىٰ به.

ثالثاً: الضحك والمزاح: فقد كان النبي ﷺ يضحك، وكان يمزح، ولكن لا يقول إلا الصدق، فليس في الإسلام مكان لباطل ولو عن طريق المزاح والتفكُّه، وليس هناك نكاتٌ تروِّج للكذب، وتتخذ من السخرية مادة للضحك وتضييع الأوقات، قال النبي ﷺ: «**ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويلٌ له، ويل له**» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وحسنه الألباني].

رابعاً: الرحلات والزيارات: وهذه أيضاً من المتع المباحة شريطة ألا يتخللها معصية، من شرب للدخان أو استماع للملاهي أو التحدث بالرفث من القول وغير ذلك.

* **وفي ذلك يقول الشيخ ابن عثيمين:** «**أحث الشباب على إقامة الزيارات فيما بينهم، حتىٰ تتوطد الألفة والمحبة بين القلوب، وعليهم أن يدرسوا أحوالهم وأحوال أمتهم، ليكونوا كقلب واحد، ورجل واحد**، وما أعظم ثمرة الزيارات إذا قُرنت برحلات قريبة أو بعيدة، فإن لها أثراً كبيراً، وعلىٰ المربين من الأساتذة والمديرين قسط كبير من هذا التوجيه».

خامساً: الرياضة وتقوية الأبدان: فالمؤمن القوي خير وأحب إلىٰ الله تعالىٰ من المؤمن الضعيف، ويروىٰ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل»، ولكن ينبغي للشاب أن يكون له نية صالحة في ذلك وهي الجهاد في سبيل الله والذبِّ عن الشريعة والدفاع عن الدين والنفس والعرض والأرض والمال.

دع الفراغ وابدأ العمل

* **أخي الشاب:** ها نحن قد أخَذَنا الحديث وتكلمنا كثيراً، فلماذا لا

نبدأ من الآن؟ أعترف أن البدايات قد تكون صعبة ولكن . .

«عند الصباح يَحْمَدُ القوم السُّرىٰ»

* **وأذكرك** بقول النبي ﷺ: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**» [رواه البخاري]. فكأنك المقصود بهذا الحديث أيها الشاب، فأنت في زمان الصحة والقوة، وعندك كثير من الأوقات التي انشغل فيها غيرك بتدبير معاشهم والسعي في أرزاقهم، فلماذا لا تستثمر هذه الأوقات فيما يقربك إلىٰ الله، وفيما يكون ذخراً لك يوم القيامة؟

* **قال عبدالله بن مسعود** رضي الله عنه: **إني لأبغض الرجل أراه فارغاً، لا في أمر دنياه، ولا في أمر آخرته.**

* **وقال أبو العباس الدينوري:** ليس في الدنيا أعزُّ وألطف من الوقت والقلب، وأنت مضيِّع لهما!!

* **وقال أبو يزيد: إن الليل والنهار رأس مال المؤمنين، ربحهما الجنة، وخسرانهما النار. .**

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجرُ الإنسان والأيام سوقُ!!

* **وقال إبراهيم بن شيبان:** من حفظ علىٰ نفسه أوقاته فلا يضيعها بما لا رضىٰ لله فيه، حفظ الله عليه دينه ودنياه.

* **وقال عمر بن ذر: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية، لجدّوا في أيامهم الخالية، خوفاً من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.**

* **وقال الإمام ابن رجب:** «فالواجب علىٰ المؤمن المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها، ويحال بينه وبينها، إما بمرضٍ أو موت، أو بأن يدركه بعض الآيات التي لا يُقبل معها عمل».

وختامـــاً

أخي الشاب:

١ ـ **اعلم أن عمرك رأس مالك**، فلا تضيعه فيما لا يفيد.

٢ ـ **تخيَّر أصدقاءك**، واجتنب صحبة الأشرار ومجالسهم.

٣ ـ **حافظ علىٰ الصلاة فإنها سبيل النجاة**، ولا تنم عن صلاة الفجر.

٤ ـ أسبغ الوضوء علىٰ المكاره، وأكثر الخطا إلىٰ المساجد، وانتظر الصلاة بعد الصلاة.

٥ ـ بادر إلىٰ المسجد عند سماع الأذان، فالله أكبر من كل شيء.

٦ ـ أكثر من الصيام، فإنه دواء لكثير من أدواء الشباب.

٧ ـ عوّد نفسك الصدقة والبذل والعطاء، فإنه سبب لرفع كثير من البلاء.

٨ ـ بادر بأداء فريضة الحج ولا تؤخرها، والعمرة إلىٰ العمرة كفارة لما بينهما.

٩ ـ اجعل لك ورداً من القرآن كل يوم وحافظ عليه، فخيركم من تعلم القرآن وعلَّمه.

١٠ ـ أكثر من الذكر والدعاء في الليل والنهار، فإن الله تعالىٰ يحب الذاكرين ويجيب دعاء الداعين.

١١ ـ طالع في سيرة النبي ﷺ وسير أصحابه، لعلك تكتسب بعض صفاتهم..

١٢ ـ داوم علىٰ حضور مجالس العلم، فإن طلب العلم فريضة علىٰ كل مسلم.

١٣ ـ عليك بالتواضع وإياك والكبر، فإنه لا يدخل الجنة متكبر.

١٤ ـ إياك والحسد، فإنه ذنب إبليس الذي طُرد به من الجنة.

١٥ ـ أطع والديك ولا تغضبهما؛ فإنه لا يدخل الجنة عاق.

١٦ ـ عيادة المريض وتشييع الجنائز وزيارة القبور من وسائل زيادة الإيمان والتذكير بالآخرة فلا تغفل عنها.

١٧ ـ تبسمك في وجه أخيك صدقة، فأحسن لقاء إخوانك.

١٨ ـ إياك والغناء فإنه لا يجتمع في قلب عبد محبة الغناء ومحبة القرآن، فانظر أيهما تختار.

١٩ ـ تعوّد غض البصر، فإن غضّ البصر عبادة المتقين.

٢٠ ـ كن في حاجة إخوانك، فمن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه.